Quarterly Research Journal of Arabic
ALOROOBA
العروبة
ISSN (Print): 2710-5172
ISSN (Online): 2710-5180

***Volume**: 4* ***Issue**: 2 (April – June 2023)*
Alorooba Research Journal
***ISSN (Print):** 2710-5172* ***ISSN (Online):** 2710-5180*
***HJRS**: https://hjrs.hec.gov.pk/index.php?r=site%2Fresult&id=1021427#journal_result*
***Issue URL**: https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/issue/view/11*
***Article URL**: https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/70*

***Title**:* التاريخ والثورة في الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة "رؤية نظرية"

History and Revolution in the Modern & Contemporary Algerian Novel (Theoretical View)

***Authors**:*

Dr. Nesrin Atya
University of Amin Al-Akkal Haj Moussa Akhamok tamanrasset - Algeria
E-mail: nesrineat83@gmail.com
ORCID: https://orcid.org/0000-0002-2664-0028

Prof. Dr. Muhammad Kantaoui
University Ahmed Draia Adrar – Algeria
E-mail: kantaouimed2301@gmail.com
ORCID: https://orcid.org/0000-0002-7218-1512

***Indexation**: ISSN, DRJI, Euro Pub, Academia, Google Scholar, Asian Research Index, Index Copernicus International, index of urdu journals.*

***Citation**: Dr. Nesrin Atya, & Prof. Dr. Muhammad Kantaoui. (2023). History and Revolution in the Modern & Contemporary Algerian Novel (Theoretical View): التاريخ والثورة في الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة "رؤية نظرية". Alorooba Research Journal, 4(2), 138–152. Retrieved from https://www.alorooba.org/ojs/index.php/journal/article/view/70*

***Published:** 2023-05-10*
***Publisher**: Alorooba Academic Services SMC-Private Limited Islamabad-Pakistan*

التاريخ والثورة في الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة "رؤية نظرية"

History and Revolution in the Modern & Contemporary Algerian Novel (Theoretical View)

Dr. Nesrin Atya
University of Amin Al-Akkal Haj Moussa Akhamok tamanrasset - Algeria
E-mail: nesrineat83@gmail.com ORCID: https://orcid.org/0000-0002-2664-0028

Prof. Dr. Muhammad Kantaoui
University Ahmed Draia Adrar – Algeria
E-mail: kantaouimed2301@gmail.com ORCID: https://orcid.org/0000-0002-7218-1512

Abstract

Crippled novel writing has taken tortuous and complex paths because it does not have a clear situational vision. Creativity and its times refer to attitudes related to the events inherent to it and to the depth of the issues of society and the nation. One of the controlling hypotheses for the question of writing, however, the important issue in this research is that creative practical relationship with history or in another form the problematic relationship between literature and history, and this has been the subject of disagreement between scholars and critics, because the new novel changed its artistic methods and developed its methods of expression and expanded its tributaries and benefited from Heritage and history, which is the subject of our tagged research: History and revolution in the modern and contemporary Algerian novel. From it, the following questions can be raised: about the nature of this historical novel, is it history or creativity, and what is the difference between the work of a historian and a novelist? On the difference between novelists in proposing and employing revolutions; Within this, let us stand on modern and contemporary fictional writing in this regard, and try to research the relationship between history and the novel.

Keywords*: The History; The Novel; Arabic; Revolution; Creativity; Algerian Novel.*

ملخص:

سارت الكتابة الروائية المأزومة نحو مسارات ملتوية ومعقدة؛ لكونها لا تمتلك رؤية موقفية واضحة، فالإبداع وأزمنته يشير إلى المواقف المرتبطة بالأحداث الملازمة لها، وإلى عمق قضايا المجتمع والأمة، وبما أن الرواية تجسد الروابط الشعورية واللاشعورية بين وطن الأنا وأنا الوطن، فإنها تفجرت وصارت عملا إبداعيا متميزا يقترن بجملة من الفرضيات الضابطة لسؤال الكتابة، غير أن القضية المهمة في هذا البحث هي تلك العلاقة العملية الإبداعية بالتاريخ أو بصيغة أخرى إشكالية العلاقة بين الأدب والتاريخ، وقد كان هذا موضع خلاف الدارسين

والنقاد، ذلك أن الرواية الجديدة تغيرت أساليبها الفنية وتطورت طرائق تعبيرها واتسعت روافدها ونهلت من التراث والتاريخ، وهو موضوع بحثنا الموسومُ: **التاريخ والثورة في الرواية الجزائرية الحديثة والمعاصرة.**

ومنه يمكن طرح الإشكال التالي: حول طبيعة هذه الرواية التاريخية هل هي تأريخ أم إبداع؟ وما الفرق بين عمل المؤرخ والروائي؟ وحول تباين الروائيين في طرح الثورات وتوظيفها؛ لنقف ضمن ذلك على الكتابة الروائية الحديثة والمعاصرة في هذا الشأن، ومحاولة البحث في العلاقة بين التاريخ والرواية.

الكلمات المفتاحية: التاريخ؛ الرواية؛ العربية؛ الثورة؛ الإبداع، الرواية الجزائرية.

مقدمة:

تأسس الوعي الجديد والانفتاح على كتابات مختلفة ومتميزة، حيث يقف الباحث أمام تساؤلات عدة حول موضوع الكتابة الروائية الحديثة والمعاصرة، ذلك أن سؤال هذه الكتابة بوصفه سؤال التاريخ كله، فالوعي الجديد في العمل الإبداعي يبدأ من الواقع المرئي وغير المرئي، ويسعى إلى تعميق الإشكالية لدى القارئ ويحرص على الوقوف عند تمثلات التاريخ والأنا والهوية؛ ذلك لأن قارئ الرواية العربية المعاصرة يدرك أنها تتألق بوعي جديد، كما يدرك أن هناك روافد فكرية ومعرفية في بعدها التاريخي والسوسيوثقافي، تمارس تأثيرها في العملية الإبداعية التي تفجر مكنونات الذات والوجود في علاقة ديناميكية ترتكز على وعي التاريخ والثورة وزمن الوعي، وتنمية أشكال القدرات النابعة من فلسفة الكتابة.

وبهذا تتغير كل كتابة بوصفها حلقة إنسانية إلى تاريخ دائم للتقدم، ومنه فإن البحث في علاقة العملية الإبداعية بالتاريخ من شأنه أن يقود بالضرورة إلى إعادة التفكير والبحث في إشكالية العلاقة بين الأدب والتاريخ وتعميق سؤال الكتابة التاريخية التي تعتمد الحدث التاريخي بوصفه مرجعية للحدث الروائي، والذي يتصل بمرجعية تاريخية حقيقية وبمرجعية تخييلية مقترنة بالحدث الروائي، حيث يكاد يكون التاريخ منظومة من الأحداث والتمثلات لواقع قائم متجه نحو الماضي، في حين يكون التاريخي أيضا منظومة من الأحداث والتمثلات لواقع ممكن متجه نحو المستقبل يجعل المسافة بين الواقع القائم التاريخ والواقع الممكن التاريخي تماثل المسافة التي يختزلها سؤال الكتابة بين الحقيقة والاحتمال.

١- جدلية الأنا والآخر في سياق ما بعد الثورة:

تجاوز الروائي المنظور الذي كرسته النظرة الاستعمارية الاستعلائية والتي تمت صناعتها في سياق تاريخي أساسه الحروب والدمار والخراب الذي لحق بالشعوب. فالرواية جاءت لتتجاوز العهود السابقة بنظرة جديدة تؤمن أن أزمتنا لا حل لها سوى تجاوز النظرة الضيقة التي ترى الحداثة الغربية من خلال ثنائية الأنا والآخر المعتدي، فعلينا أن نمارس هوياتنا واختلافاتنا بشكل نعيد فيه ترتيب العلاقة مع ذواتنا والآخر، أي: أن نغير موقفنا منهما معا(١).

وبهذا نمنح القارئ فسحة أوسع للتأويل بواسطة طرح العديد من الأسئلة، وذلك كون النصوص الروائية تحتل فضاء متميزا ضمن الرؤية الإبداعية والجمالية لمفهومي التاريخ والإبداع والأنا وفق انهمارات متعة التلذذ بالنص إبداعا وقراءة اتكاء على مرجعية أن كل إنسان يمتلك صورة ذهنية واحدة فريدة من نوعها تلعب دورا لها جس المحرك لكل حياته، وعليه فإن الهاجس المحرك في الرواية العربية هما التاريخ والأنا(٢).

كل هذا يستدعي بالضرورة اقتراح مجموعة من التساؤلات، أهمها:

- ✓ هل يمكن التملص من التاريخ؟
- ✓ كيف تجلى التاريخ في الرواية العربية؟
- ✓ وما هي ميكانيزمات وعي الأنا للوقائع التاريخية ضمن البنية النصية؟
- ✓ وما موضع الأنا في التشكل التاريخي وبنية الفضائين التاريخي والفني؛ والإبداعي والقرائي؟.

إن ما يتفق حوله الآن جل المهتمين بالمنظومة الثقافية المعاصرة عامة وبالحقول الأدبية على وجه الخصوص، يكاد يصب في معنى أن الحقول التاريخية يمكنها أن توفره لنا ما قد لا يوفر لنا الحاضر(٣).

وإذا كانت حركة التاريخ بانتصاراتها وانهياراتها وصحواتها كفيلة بأن تجعل العالم الروائي الجديد مختلفا ومتباينا كل التباين عن العالم الروائي التقليدي الذي لم يكن يجد من مبرر للفصل بين الأنا والآخر سوى البرهان الجوهري القائم على أساس الثنائيات الضدية الروح / المادة، الخير/ الشر، الشرق/ الغرب، فإن استراتيجيات إعادة النظر، وإعادة القراءة عند بعض الروائيين، وقفت إزاء التاريخ والمجتمع موقف الناقد المتفحص والرائي الذي يقرأ الأحداث ويؤسسها.

من هذا المنطلق أعاد كثير من الروائيين النظر بوقائع التاريخ التي تقف اليوم وراء مشروع الثقافة العربية في البلدان العربية، إن لم نقل أنها تشكل هاجسا لدى أكثر الباحثين الجزائريين، فطموح الروائيين الفكري والفني يروم الكشف وتقديم قراءة فنية للتاريخ وكذا رؤية جديدة له، والتأكيد على الدلالة الانسانية والحضارية، وإعادة كتابتها فنيا وتحميلها دلالات جديدة بما يسمح بتأويل جديد لها ولثقافتها، وبمقدار ما شكلت في مخيلتهم الأدبية بمخزون ذاكرتها ومخيلتها ولغتها وأحلامها تاريخا آخر، فقد عمل التاريخ السلطوي للأنا والآخر على حجبه، فالروائي يمثل ذاتا أخرى وتاريخا آخر.

وترى أن الرواية المرتبطة بالتاريخ التي لا تنفصل عن الأدب تتكشف عن ذاكرة أخرى ولغة أخرى، ونص آخر تختلف روايته للتاريخ، واستعادته للمعنى والرؤية عن الرواية الرسمية، وكأنه إزاء نمط ثقافي مختلف عن الذي تقدمه الثقافة الرسمية والمدونة، وهذا يعني أن إعادة النظر بمفهومه للإنسان –بوصفه سلطة تاريخية– ينبغي أن تحاط برؤية جديدة حول مركزيته التاريخية التي تمثِّل طرفا في صراع الأنا والآخر، تتجاوز الآخر وتتباين عنه في الاستعمال ويعارضها في تصوره للطبيعة الانسانية والثقافية للعامة من الناس والهوية.

ولذلك فإن فلسفة الروائيين ورؤيتهم للعالم تتحدد انطلاقا من وضع تفكيكي لمستوى النفي والرفض الذي مارسته الذات التاريخية على نفسها من خلال استبعاد أي محرك إنساني لعمق القضية، وبالتالي فشرط وعينا بالذات والآخر، شرط لمعرفتنا بجوانب إنسانية القضية المسكوت عنها(٤).

وعليه فإن النصوص الروائية المعاصرة تسعى إلى معاينة التاريخ ووقائعه من داخل ثقافة التاريخ ونصوصها بغية التأسيس لهوية "الأنا".

نعم إنه يدمج الوعي بالوقائع التاريخية مع الوعي بالآنية ووقائع وانهمارات غرائزية، بغية الوصول إلى تشكيل وعي معرفي قد لا ينحصر – بالضرورة – في الفكر والعقل والمنطق، بل إنه قد ينزاح نحو جهة الوعي الجمالي ومتعة السرد، ومتعة التلقي، دون إغفال كينونة السرد الكامنة أصلا في إعادة ترتيب ما يحدث الآن ذلك الذي يحدث الآن تتجاذب ماهيته شبكة ينابيع متعددة؛ بعضها ينتسب لنصوص مدونة وثابتة لدى عامة القراء والمثقفين، وبعضها الآخر يظل رسميا، أما بعضها الآخر فقد نبتت فيه الغواية وشراهة المتعة باقتحام الآخر القارئ في هول المشاهدة والمعاناة(٥).

ويتخذ الآخر صورا متعددة باتخاذه كينونة مفارقة للأنا من حيث اللغة والعقيدة والعرق والتقاليد والموقع الثقافي والطبقي. لكن المفارقة الأكثر لفتا للانتباه هي التعامل مع الآخر بوصفه أجنبيا، وغالبا ما يختزل في الغرب الذي خاضت معه الذات العربية حروبا وصراعات متعاقبة صونا لهويتها من التلاشي والتفسخ، ويتضح أن الأنا، سواء أكانت محايدة أم منتمية إلى تكتل، تفترض وجود عدو محتمل يهدد كيانها وهويتها باستمرار وهذا ما يجعلها من جهة متيقظة من جميع الطوارئ الممكنة وحريصة على صيانة مقوماتها ومكاسبها، وما يحفزها من جهة ثانية على اعتبار الآخر غريبا ومختلفا ينبغي الاحتراس منه تفاديا لأي خطر يمكن أن يصدر منه(٦).

لطالما اتسمت العلاقة بين الأنا والآخر بالتعارض والاختلاف من حيث نظرة الإنسان هنا إلى الانسان هناك أو العكس نظرةً تتلخص في ثنائية الشرق المشدود إلى الانحطاط والجهل والعنف والغرب المشرئب إلى الحضارة والعلم والتسامح. غير أن هذا التناقض في النسق الثقافي الذي يحكم رؤية العالم هنا وهناك ويوجه من ثمة نظرة الأنا للآخر ونظرة الآخر للأنا، وهذا ما سعى الروائي العربي إلى تطبيقه في جملة من النصوص الروائية التي اصطلح عليها النقاد والدارسون: روايات الصراع أو المواجهة الحضارية(٧).

٢- التاريخ والثورة بوصفهما خلفية للإبداع الروائي:

إن علاقة كاتب ما بالتاريخ ليست شيئا خاصا ومعزولا، إنما هي عنصر هام من العناصر التي تؤلف علاقته بكامل الواقع ولا سيما المجتمع، وإذا تفحصنا المشاكل التي تقع في الرواية نتيجة علاقة الكاتب بالواقع التاريخي، نرى أنه لا توجد مشكلة جوهرية واحدة فريدة بالنسبة للتاريخ، وهذا يعني أن علاقة الكاتب بالتاريخ يمكن أن تساوي – ميكانيكيا – علاقته بالمجتمع المعاصر، بل بالعكس يوجد تفاعل معقد جدا بين علاقته بالحاضر وعلاقته بالتاريخ، إلا أن فحصا نظريا تاريخيا أدق لهذه العلاقة يبين بأن علاقة الكاتب بمشاكل الحاضر الاجتماعية حاسمة في هذا التفاعل(٨).

وبالتالي تؤلف علاقة الروائي بالتاريخ عنصرا من عناصر علاقته بالواقع، وتتسم هذه العلاقة بقدر كبير من التعقيد والتركيب، فالروائي قد يعود إلى لحظة في الماضي لاستكشاف الحاضر وفهمه، وقد يعود إليها كسند في مواجهة وطأة الحاضر.

وتشير الرواية التاريخية إلى التاريخ بحكم أنها تستند الى مجموعة من المصادر التاريخية والشعبية والعقائدية، وهي مصادر تضبط التواريخ والأحداث والأسماء، حتى يماثل السرد الروائي السرد التاريخي فينفي عن نفسه الكذب، ويوطن نفسه بتوثيقية حقيقية، بحيث تنطق الشخصية متسقة مع زمانها ومكانها ووظيفتها الروائية في آن واحد، ولا ينسى الكاتب نفسه، بل يمزج هذه العناصر مجتمعة بطريقته في السرد والحكي، فيقدم أنموذجا تاريخيا وذاتيا، مما يكسر حاجز الغربة عن المتلقي بدعوة للمشاركة في عملية الاسقاط السياسي والفني، وهو الأمر الذي يُكسب العناصر المكونة لهذا النص بعدا تأويليا، يكثر من الدلالات والمعاني ويجعل من النص نصا تاريخيا رمزيا.

نحن إذًا أمام مشاكلة بين نص تاريخي وواقع اجتماعي يتدرج بنا المبدع حتى نفهم العلاقة الحادثة بين التاريخ والواقع، أي نفهم طبيعة السلطة وطبيعة البشر والتاريخ [٩].

والحقيقة إن التجسيد الجمالي للتاريخ والثورة وللعنف الحسي والخطابي مثل أحد أهم ملامح الرواية العربية المعاصرة مع تباين في مستويات هذا التمثيل حيث جسدت الروايات التاريخية رصيدا غنيا وتعددا في مضمونها النصي بقيم تخييلية وسمات أسلوبية مؤثرة عبر دل الأقطار العربية.

وهنا يشير "شرف الدين ماجدولين" إلى هذا بقوله:

> «لا تكاد الرواية الجزائرية تفارق عنفا موضوعيا حتى تعانق بديلا له، فمن عنف المقاومة، إلى عنف الثورة، إلى عنف النظام الحديدي، إلى عنف الحركات الأصولية. مراحل مسربلة بالدماء، مسكونة بالقسوة منطوية على صوت الحديد والنار. بيد أن تعمق هذا المعطى الموضوعي الأولي الذي يفرضه سياق التحولات السياسية والمجتمعية، لا يمكن إلا أن يكشف عن تجليات موازية للعنف الروائي، تتخطى وقائع الحياة وطبيعة مسار المجتمع والدولة، إلى نطاق التخييل والمتخيل، واللغة والمجازات النصية»[١٠].

إن الانخراط المبكر لكتاب الرواية الجزائريين في معارك التحرير ومواكبتهم لما أسفرت عنه من تناقضات داخلية، كان من شأنه أن يؤسس، منذ البداية، لمسار العنف المتواتر، الذي أضحى قدر الرواية الجزائرية ولعنتها الكبرى؛ فمنذ وقوع كاتب ياسين في أسر السلطات

الاستعمارية الفرنسية، مرورا بالنفي القصدي للكاتبين محمد الديب ونبيل فارس على عهد نظام بومدين، ثم استبعاد آسيا جبار في كل الحقب وحتى سقوط الطاهر جاووت في معركة مناهضة الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وانتهاء بالحكم على عشرات الكتاب، من شتى الأجيال بالاختيار بين عنفين: عنف العسكر أو عنف الأصولية.

يبدو المشهد أشبه ما يكون بكابوس عبثي، ممتد، لا فكاك فيه للرواية من نوازع القهر والمصادرة والمنفى..، فأضحت من ثم حيزا مثاليا لتصفية الحساب، وتضمين الانحيازات، وبيان الصراع المصطخب في الحياة بين العقائد والرؤى والاصطفافات الفكرية، والظاهر أنه منذ أصدر الطاهر وطار رواية "اللاز"، الكاشفة عن حدة الصراع الذي انتهت إليه مكونات الحركة الثورية، في "جبهة التحرير" التي انتظم في صفوفها الجميع لأول وهلة، وحتى صدور رواية أحلام مستغانمي الأكثر شهرة "ذاكرة الجسد"، سيتحول زمن التحرير إلى مجال للتساؤل والارتياب، فقد كفت "الثورة" عن الإبهام بالطهرانية المشرقة لنماذجها وخططها وقيمها الإنسانية، وأضحت مجالا لتضارب المقاربات والحلول والرؤى(١١).

إن السياق التاريخي للرواية الجزائرية للسبعينات والثمانينات يحيل إلى أن الروائيين الجزائريين في هذه الرحلة قد عملوا على استعادة التاريخ النضالي للشعب ضد الاستعمار، وذلك في صياغة تمجيدية منفعلة بلحظة الاستقلال وحدث النصر وما تولد عنهما من مشاعر نخوة ورغبة في إثبات مقومات الهوية المستلبة والتعبير عن الموقف السياسي(١٢).

لذلك جاءت نصوص الطاهر وطار وعبد الحميد بن هدوقة، ومحمد مفلاح عرعار، وواسيني الأعرج، ومرزاق بقطاش وغيرهم معتمدة على تاريخ معيش من التجربة أو الذاكرة، لكن في كل الحالات تحمل بصمات الحضور المباشر لذات الفنان وأثره وروحيته في عالمه، حيث تكون المخيلة على توافق تام مع الواقع تعيد إنتاجه بالتقاط الذاكرة لما هو أكثر تكثيفًا ولمعانًا وجاذبية، فكانت الوظيفة المعرفية للنص ثمرة تحقق الوعي في الممارسة بغض النظر عن درجة قدرة الوعي على تحقيق التطابق كدالّ يطمح إلى احتواء مدلوله والسيطرة عليه فنيا ومعرفيا ودلاليا(١٣).

إن الوضع الاستعماري لم يكن له أثر على التجربة الكتابية العربية وحسب بل كان له تحكم مفرط في ذلك، وفي التنظيرات النقدية المبكرة للنص الروائي العربي، وحدد رؤيته للرواية على مستوى النظرية والممارسة، وهذا ما يستدعي إعادة قراءة النص الروائي العربي وفق رؤية

متحررة من إكراهات النظرية الغربية وذلك بالتمكن من إعادة تعيين الموقع الذي يتحدث منه النص، ولمنْ يتحدث وباسم من يفعل ذلك، فضلا عن إعادة بناء الفهم باستراتيجيات الكتابة المتحققة فيه، وكل ذلك يجري في سياق مابعد الكولونيالية ليس كإطار تاريخي وحسب وإنما كذلك بما يعينه من مقاومات ونضال ضد الهيمنة وحوار الثقافات وتحديد الهوية. وفي هذا السياق يؤكد جورج بالاندي "*George Balandier*" بأن كل مسعى لإنجاز دراسة راهنة للمجتمعات التي خضعت للتجربة الاستعمارية، تتقصد إلى معرفة واقع هذه المجتمعات وليس إلى إعادة بناء تاريخي وإلى بناء فهم لا يضحي بالخصوصية مقابل الارتهان لنمذجة مبسطة لا يمكن أن يتحقق إلا في إطار من الارتباط بهذا الكل الذي يدعوه بالوضع الاستعماري(١٤).

وإذا كان تاريخ الثورة مرتكزا للرواية فهي تقف في مواجهة الواقع عبر ارتباط جدلي، يطل فيه الكاتب من مركز رؤيته المعاصرة لتشكل هذه النقطة المركزية شبكة حية موصلة ومتأصلة بجدل الواقع الانساني المتنامي.

ولهذا فبين التاريخ والتاريخي في المنظور الروائي الجديد ليس من معبد يمارس فيه الكاتب الطقوس الرمزية والتأريخية، وإنما ثمة عالم مفتوح بأنماط مختلفة وقيم متباينة لشخوص وأحداث وتجارب ماضوية وتأريخية، منها ما تكون عميقة أو حية، جامدة أو متطورة. بتعبير آخر فالرواية لا تستعيد العلاقات التاريخية ولكنها تجعل من التاريخ مرتكزا لعلاقات اجتماعية وإنسانية جديدة، فالارتكاز مشروط بالانحياز لما هو حي دينامي من التاريخ وبعبارة أخرى هو محكوم بوعي وإدراك سابقين يتطلب من الروائي التفاعل وليس التعاطف، التمييز وليس الاندماج، التفرد وليس الذوبان في التعامل الجدلي مع التاريخ(١٥).

إن الجنس الروائي يحيل على التاريخ، والتاريخ كثيف الحضور في الوقائع التي زامنها الروائي، وإلى دراسة التاريخ مال كثير من الدارسين لهذه النقطة وهناك من كرس لها وقتا طويلا، والسؤال المهم هو: ما العلاقة بين التاريخ والرواية؟.

يمكن القول أن العلاقة وطيدة، ذلك أن الرواية عبارة عن استعراض للحياة اليومية بكل مشاكلها وقضاياها وأشخاصها.. هذا جزء من التاريخ لم يكتبه المؤرخون، ثم إن التاريخ عبارة عن أحداث وأشخاص وتفسير ورؤية والرواية كذلك(١٦).

ومنه فالنص السردي المعاصر من أهم وسائل التعبير التي تتشيد فيها الرؤى الجديدة. فاهتمامه الموسع بالثقافة، واشتغاله جماليا على التاريخ وفق قراءة واجتهاد مغايرين، يحقق

للتخييل دورا معرفيا أساسيا، يتمرد به على العقلانية الديكارتية التي لم تعترف له بإسهام يذكر في بناء المعرفة والتأسيس لمنعطفاتها.

ولأن النص المعاصر شكل رمزي توسطي، وفضاء لاحتضان التشظي والهباء والتشعب والتناص، تتكرس أبحاث هذه الدراسة حوله، وتطمح إلى إعطائه المكانة التي يستحقها ضمن الجهود النظرية المتعددة التي تتبلور في حقل البحث السردي، وتسهم من موقعها في تكسير نصالٍ نقديةٍ حادة كثيرا ما مزقت النص الأدبي، وطمست عنانته الفكرية والمعرفية، وغيبت حس الاختلاف الذي به يتحقق الأدب، ويؤكد خصوصيته كممارسة جمالية ثقافية(١٧).

إن مقاربة البعد التاريخي الوطني والتاريخ الكولونيالي في الرواية العربية يحيل إلى أن الرواية الحديثة صارت تاريخا متخيلا ذا زمنية متميزة خاصة داخل التاريخ الموضوعي لم تصبح مجرد سرد أدبي للتاريخ الموضوعي في بنيته الحديثة الخارجية، بل أصبحت التاريخ الإبداعي الوجداني العميق المتخيل لهذا التاريخ الحدثي الذي يجاوز هذه المظاهر الحديثة الخارجية ليغوص في أعماق ما يدور فيما بين الأفراد والجماعات والطبقات والأحداث والوقائع الذاتية والجماعية، من: مشاعر، وهواجس، ورغبات، وتطلعات، وأيديولوجيات، وأفكار، وقيم، وصراعات، وأزمات، ومؤامرات، قومية وعالمية(١٨).

الأمر الذي يجعلنا نقف على حقيقة هذا الجنس بوصفه إبداعا متعدد المستويات والأبعاد الوجدانية والمعرفية للتاريخ الموضوعي نفسه، وإن اقتصرت في أغلب الأحيان على جانب جزئي أو فردي أو مجتمعي أو قومي حقيقي أو متخيل في هذا التاريخ.

وفي ضوء ما سبق يتجلى الوعي الإبداعي للنسيج العميق المتشابك لخبراتنا الانسانية والتاريخية المعاصرة، وقد اقتحمت مساحات الفعل السياسي والاجتماعي والحضاري تحتضن وتعبر بمستويات ابداعية ودلالية مختلفة عن هذا الفيض الانساني المتدفق، وهي على اختلاف مستوياتها وتوجهاتها ورؤاها وأبنيتها الجمالية والدلالية تمثل الوعي الإبداعي الكاشف عن جوهر مفارقات التاريخ وتناقضاته وصراعاته وأزماته وفواجعه والتباساته، سواء في تضاريسه الحديثة الخارجية أو أعماله الباطنية، فالمعطى المعرفي لما هو تاريخي ليس في التحليل الأخير سوى المادة الحية المتكونة من الخبرة والمعاناة والتجربة التي تشكل الامتداد المتنامي لحركة الجدل الإنساني في الماضي والتاريخ والحضارة، وهي بذلك تحدد القدرة على الوصول والديمومة على التواصل وبالتالي تحقيق المعطيات الجديدة التي تحمل القيم الانسانية.

صحيح أن فن الرواية لا يمكن في أي حال من الأحوال أن يختزل إلى مجرد معرفة، فالروائي عندما يبدع عالما فنيا لا يكرر شكلا من أشكال الحياة، وإنما يحاكي عمل الحياة الخلاق، ويخلق هو ذاته كائنات جديدة(١٩)، لذلك تفترض الخاصية النصية للتاريخي وعيا لدى الروائي كلما تكونت فكرة اللجوء إلى التاريخ.

إن انفتاح النص الروائي على الحدث التاريخي، هو تأكيد لميزة فنية أساسية تتعلق بإمكانات الخطاب على تحديد علاقات بالنصوص الخارجية من جانب، ومن جانب آخر تقديم وجهة نظر موضوعية بشأن تلك النصوص، وتحقيق الفاعلية النصية يستند في عمومه إلى تأكيد المناقضة لأهميتها الفنية في ثنايا الخطاب؛ حيث أن النقد بطبيعته تأكيد لمجال الرؤية المتغيرة التي تعتمدها النصوص الروائية الحديثة، وتتأسس المادة التاريخية في الرواية تبعا لطبيعتها كنص سياقي خارجي، يدخل ضمن النص الروائي الأصلي(٢٠)، وهذا النص السياقي يعد بمثابة التناص. والمناقضة في علاقتها بالنص التاريخي، هي كباقي علاقاتها بالنصوص الأخرى.

٣- تمظهرات الذات والهوية والوطن في الرواية العربية:

يبدو أن مسألة الهوية ذات بعد استراتيجي في الكيان العربي، فهي الميكانيزم الفعال في خلق الجدلية الوجودية بين الذات وبين المحيط والكيانات المتقاطعة معها عبر العصور والأزمنة، ولذا نالت هذه المسألة اهتمام مجمل الخطابات المستهلكة في العقدين الأخيرين، والتي تفوق فيها حسب الظاهر الخطاب السياسي بحوصلة القضية بسهولة ويسر مم مفردات العروبة والاسلام، كما استطاعت كثير من الخطابات الموظفة للمناهج العلمية؛ كالتاريخ وعلم الاجتماع والعلوم السياسية والعسكرية، أن تمتح بصعوبة من تلك المفردات مدونات تبرز ذلك الترابط الإنساني والحضاري المحوصل للهوية المنبسطة فوق أزمنة كرونولوجية شرعية الكينونة الآنية للذات العربية بكل خصائصها ومميزاتها بالصيغة التقريرية.

فقد بات الخطاب الأدبي الوحيد القادر على بلورة وإثراء بعض القضايا المسكوت عنها في الخطابات المطروحة، على اعتبار أنه لم يبق قعيد الثبوتية والتقريرية، بل تجاوزها إلى جوهر المجالات الوجودية المكبوتة بالضرورة، إلى تنوع سياقي للخطاب الأدبي تدل على تفرده وتشبعه إن حسب لغته أو جنسه، فجدلية النقاش حول مبدأ الهوية لابد وأن يؤسس على بعدي الذات والوعي، وأن دمقرطة ذلك النقاش يتطلب حتما بعدا ثالثا ألا وهو متنا سرديا محددا

يمكن من خلاله تشريح الوعي وتبيان مدى علاقته بالهوية في مرورهما عبر الذات الصانعة للوقائع التاريخية، أو الواعية بها، والخاضعة لجبرية الصيرورة(٢١).

غير أن ذلك كله لا يتم إلا عبر أداة التأويل التي تمنح من معين مخزون الذاكرة "الأنا الجمعي" والأقوال والافتراضات المنافية للقطيعة والثبوتية.

نظرا لاحتدام الصراع بين الشعوب لبواعث وأسباب مختلفة، تفوت مشاعر الكراهية وأساليب العنف تجاه بعضها. وهذا ما يتضح أكثر في تحيين أمة أو جماعة لأحداث بعينها لأنها تعتبر مؤسسة لهويتها الخاصة. وتترسخ عندئذ، كثير من الصور المسكوكة الرواسم والتمثلات والقوالب الجاهزة حيال الآخر باعتباره شرا وجب الحذر منه وخطرا ينبغي مقاومته. تستدعي، مشاعر الكراهية التي ما فتئ مفعولها يتقوى بالدعوة إلى هوية ثابتة وميتافيزيقية والمغالاة في الحسَين الوطني والقومي(٢٢)، وإحداث مصالحة تاريخية تسهم في تضميد الجراح الرمزية والجسدية التي خلفتها سنون التناحرات الطائفية والعرقية والحروب الدامية بين الشعوب والأمم.

إن علاقة الأدب والسياسة والتاريخ علاقة جدلية متواصلة، طالما وجد الأديب نفسه داخل المجتمع، فهو يعبر من خلاله عن دوره وحقوقه ومكانته ويبحث بشكل مستمر عن حريته وإنسانيته الذات والهوية دون أن ينسى الوطن، وبذلك فالرواية فرضت نفسها بشكل لا يستدعي من الدارسين السعي وراء إثباتها، والبحث عن درجة التواصل بين الأدب والتاريخ، فارتباط الرواية بالمعطى التاريخي أعطاها دورا هاما في التغيير الاجتماعي وفي إثبات الهوية والبحث عن حرية الذات المهمشة، ومن هنا فالعلاقة بين الرواية والتاريخ تشكل مدخلا منطقيا لقراءة الماضي والحاضر، الواقع والمتخيل.

ومهما تكن جملة الانقسامات والطروحات التي تخترق الممارسة الأدبية فقد مثل الأدب تاريخيا ويمثل في السياق الذي أنتجته فعلا اجتماعيا متقدما تصوغه ذوات مبدعة تتطلع وتسعى إلى الحوار حول أهم القضايا التي تمس الوطن، ويعد التاريخ واستحضار الثورة محورا فكريا وجماليا من أهم العناصر التي تعتمد عليها الرواية المعاصرة، كما أن استحضار التاريخ هو ما يشكل التساؤلات حول الالهوية والوطن والذات، ومنه فالرواية الجديدة أصبحت مصدرا هاما من مصادر التاريخ الاجتماعي الذي لا غنى عنه للباحثين في مختلف تفرعات الفكر، ولربما كانت أيضا المصدر الوحيد الذي يصح الاعتداد به مستقبلا في مثل هذه الدراسات لانصرافها

في معظم الأحوال إلى ابراز الواقع المعدوم المتجاهل للفئات الهامشية التي ترتبط بالأحداث اليومية ولا تتصدر الواقع اليومي، ولا يعبأ بها المؤرخون للأحداث.

بالاستناد إلى حقائق التاريخ العربي، اتخذ الروائي من قضية القهر السياسي وقضية الهوية والأنا المسألة الأساسية في عمله الإبداعي، وقضية قهر الانسان عنده ليست ضبابية أو مثالية، إنما هي متجسدة ببعدها الاجتماعي والسياسي، لذلك يتمثل القص الروائي عن التاريخ بكتابة المسكوت عنه(٢٣)، أي: البحث عن ثغرات التاريخ اللامنطوقة، والمهمشة والمغيبة بفعل التاريخ الرسمي، ومن ثم محاولة كتابة تاريخ جديد وإعادة النظر في التاريخ الرسمي.

الخاتمة:

وانطلاقا من دراستنا النظرية للتاريخ والثورة في الرواية الجزائرية نتستنتج النقاط الآتية:

١- إن العلاقة بين التاريخ والثورة لا تزال موضع خلاف وجدل مستمرين بين الروائيين والنقاد، ذلك أن الرواية يمكن أن تكون مصدرا من مصادر التاريخ، كما أن التاريخ يمكن أن يكون مرجعا للرواية ومصدرا تستقي منه موضوعا وتستلهم من خلاله شخصياتها.

٢- اتسمت الرواية بالاتساعية والشمولية ذلك أنها أكثر الأجناس الأدبية احتواء للمعرفة الانسانية في العصر الحديث فكل مافي الحياة هو من اهتماماتها.

٣- إن الفرق بين عمل المؤرخ والروائي يكمن في كمية الخيال لا نوعه، لذلك يعد التاريخ مصدرا هاما تعتمد عليه الرواية التاريخية، إذ أنها تستقي مادتها منه، ومنه فالروائي والمؤرخ يغرفان من مصدر واحد ويعودان الى الماضي، إلا أن هدف كل منهما يختلف عن الآخر، ذلك أن المؤرخ يسعى لملامسة الحقيقة بينما يتمثل مسعى الروائي لملامسة المتعة والجمال.

٤- بالرغم من مرور السنون إلا أن الذاكرة البشرية لا يمكن أن تنسى الثورات، وتتعاقب حكاية الثورات جيلا عقب جيل، كما أن الرواية سعت إلى تجسيد الثورات الوطنية بصورة فنية جمالية تجعل القارئ يبحث في ماضي وطنه واكتشافه.

٥- إن المؤرخ ليس سوى جزء من التركيبة العامة للمجتمع فهو لا محالة يخضع ويتأثر بكل ما يسود من أفكار وأديولوجيا، فيعتنق بعضها وينتصر لها، ويرفض البعض الآخر ويثور عليه وهو في كل ذلك لا يمارس سوى حقه الطبيعي في أن يكون فردا من الجماعة.

٦– إن العلاقة التي تقيمها الرواية مع التاريخ هي علاقة جديدة تعتمد بالأساس على المساءلة الفنية للتاريخ، لا على روايته فحسب، أي إعادة كتابة التاريخ وفق هذا المنظور الجديد؛ فالموضوع الأساسي للتاريخ هو الواقع، بينما واقع الرواية هو المتخيل، ثم إن التاريخ يحتمي بما هو حقيقي واقعي، من الأحداث والمجريات، أما الرواية فإنها تشتغل على مساحات واسعة من الخيال.

٧– تجاوز الروائي المنظور الذي كرسته النظرة الاستعمارية والاستعلائية والتي تمت صناعتها في سياق تاريخي أساسه الحروب الذي لحق بالأمم العربية، فالرواية التاريخية جاءت لتتجاوز العهود السابقة بنظرة جديدة تؤمن بتجاوز النظرة الضيقة لقضايا المجتمع.

قائمة المصادر والمراجع:

١) إشكالية الأنا والآخر، ماجدة حمود، مجلة عالم المعرفة، الكويت، ع: ٣٩٨، مارس ٢٠١٣م، ص: ١٧.

٢) الأنا والآخر، رهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية، بشير بويجرة محمد: قسم التصفيف دار تفتيلت، ط/٢، ٢٠١٣م.

٣) اتجاهات الرواية في المغرب العربي، بوشوشة بن جمعة: المغاربية للطباعة والنشر، ط/١، ١٩٩٩م.

٤) استراتيجية الكتابة التاريخية: كتابات معاصرة، فنون وعلوم، عبد الوهاب بوشليحة، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية، ع: ٦١، مج: ١٦، تشرين الأول ٢٠٠٦م، ص: ١٢٣– ١٢٤.

٥) التجربة الروائية المغاربية، فتحي بوخالفة: عالم الكتب الحديث، ط/١، ٢٠١٠م.

٦) جدل التخييل والخيال في الرواية الجزائرية، سيدي محمد بن مالك: دار ميم للنشر، ط/١، ٢٠١٦م.

٧) خطاب الحداثة في الرواية المغاربية، عبد الوهاب بوشليحة: نادي الأحساء الأدبي، ط/١، ٢٠١١م.

٨) الرواية بين زمنيتها وزمنها، محمود أمين العالم: مجلة فصول، مج: ١٢، ع: ١، ١٩٩٣، ص: ١٥– ١٦.

٩) الرواية التاريخية، جورج لوكاتش: تر: صالح جواد كاظم، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨م.

١٠) الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، إدريس الخضراوي: رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط/١، ٢٠١٢م.

١١) الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، فيصل دراج: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط/١، ٢٠٠٤م.

١٢) الرواية والتاريخ، عيد عبد الرزاق، محمد جمال باروت: دار الحوار، ط/١، ١٩٩٩م.
١٣) شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، حسين نجمي، المركز الثقافي العربي، ط/١، ٢٠٠٠م.
١٤) صورة الأنا والآخر في السرد، محمد الداهي، سلسلة السرد العربي، دار رؤية، ط/١، ٢٠١٣م.
١٥) الفتنة والآخر، أنساق الغيرية في السرد العربي، شرف الدين ماجدولين: دار الأمان، الرباط، ط/١، ٢٠١٢م.
١٦) قضايا القصة العراقية المعاصرة، عباس عبد جاسم: منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، د.ط، د.ت، ص: ١٤٩.
١٧) معركة الزقاق، رشيد بوجدرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م.

الهوامش

(١) ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، مجلة عالم المعرفة، الكويت، ع: ٣٩٨، مارس ٢٠١٣م، ص: ١٧.

(٢) رشيد بوجدرة: معركة الزقاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٦م، ص: ٤٥.

(٣) حسين نجمي: شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط/١، ٢٠٠٠م، ص: ٣٦.

(٤) عبد الوهاب بوشليحة: استراتيجية الكتابة التاريخية: ن كتابات معاصرة، فنون وعلوم، مجلة الإبداع والعلوم الإنسانية،ع: ٦١، مج: ١٦، تشرين الأول، ٢٠٠٦، ص: ١٢٣- ١٢٤.

(٥) بشير بويجرة محمد: الأنا والآخر، رهانات الهوية في المنظومة الأدبية الجزائرية، دار تفتيلت، ط/٢، ٢٠١٣م، ص: ١١٤، ١١٥.

(٦) محمد الداهي: صورة الأنا والآخر في السرد، سلسلة السرد العربي، دار رؤية، ط/١، ٢٠١٣م، ص: ١٢ – ١٣.

(٧) سيدي محمد بن مالك: جدل التخييل والخيال في الرواية الجزائرية، دار ميم للنشر، ط/١، ٢٠١٦م، ص: ٤٤.

(٨) جورج لوكاتش: الرواية التاريخية، تر: صالح جواد كاظم، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٨م، ص: ٢٤٠ – ٢٤١.

(٩) عبد الوهاب بوشليحة: خطاب الحداثة في الرواية المغاربية، نادي الأحساء الأدبي، ط/١، ٢٠١١م، ص: ١٨٩ – ١٩٠.

(١٠) شرف الدين ماجدولين: الفتنة والآخر، أنساق الغيرية في السرد العربي، دار الأمان، الرباط، ط/١، ٢٠١٢م، ص: ١٠٨.

(١١) المرجع نفسه: ص ١٠٩.

(١٢) بوشوشة بن جمعة: اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر، ط/١، ١٩٩٩م، ص: ٨٢.

(١٣) عيد عبد الرزاق، محمد جمال باروت: الرواية والتاريخ، دار الحوار، ط/١، ١٩٩٩م، ص: ١١.

(١٤) إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط/١، ٢٠١٢، ص: ٢٣.

(١٥) عباس عبد جاسم: قضايا القصة العراقية المعاصرة، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، د.ط، د.ت، ص: ١٤٩.

(١٦) فيصل دراج: الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط/١، ٢٠٠٤م، ص: ١٣٢.

(١٧) إدريس الخضراوي: الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، مرجع سابق، ص: ٢٥.

(١٨) محمود أمين العالم: الرواية بين زمنيتها وزمنها، مجلة فصول، مج: ١٢، ع: ١، ١٩٩٣م، ص: ١٥- ١٦.

(١٩) عبد الوهاب بوشليحة: استراتيجية الكتابة التاريخية، مرجع سابق، ص: ١٢٢.

(٢٠) فتحي بوخالفة: التجربة الروائية المغاربية، عالم الكتب الحديث، ط/١، ٢٠١٠م، ص: ٤١٣.

(٢١) بشير بويجرة محمد: الأنا والآخر، مرجع سابق، ص: ١٦٩ – ١٧٠.

(٢٢) محمد الداهي: صورة الأنا والآخر في السرد، مرجع سابق، ص: ١٥.

(٢٣) عبد الوهاب بوشليحة: خطاب الحداثة في الرواية المغاربية، مرجع سابق، ص: ١٨٨.

Translitration

- *Iškālīaẗ Al-ʾanā Wālʾāẖr, Māğdaẗ Ḥumūd, 2013.*
- *Ālʾanā Wālʾāẖar, Rehānāt Al-Huweyaẗ Fī Al-Manẓūmaẗ Al-ʾadabīaẗ Al-Ğazāʾirīaẗ, Bašīr Bwyğraẗ Muḥamad, 2013.*
- *Iteğāhāt Al-Rewāīaẗ Fī Al-Maġreb Al-ʿarabī, Būšūšaẗ Ben Ğumaʿẗ, 1999.*
- *Istrātīğīaẗ Al-Ketābaẗ Al-Tārīẖīaẗ: Ketābāt Muʿāṣeraẗ, Fnūn Ūaʿulūm, ʿabd Al-Ūhāb Būšlīḥaẗ, Mağalaẗ Al-Ibdāʿ Wālʿulūm Al-Insānīaẗ, ʿ 61, Mğ: 16, Tšrīn Al-ʾaūl 2006, P: 123- 124.*
- *Āltağrebaẗ Al-Rewāʾīaẗ Al-Maġārebīaẗ, Fatḥī Būẖālfaẗ, 2010.*
- *Ğadal Al-Taẖyil Wālẖīāl Fī Al-Rewāīẗ Al-Ğazāʾirīaẗ, Sīdī Muḥamad Ben Mālk, 2016.*
- *ẖeṭāb Al-Ḥadāṯaẗ Fī Al-Rewāīẗ Al-Maġārbīaẗ, ʿabd Al-Ūhāb Būšlīḥaẗ, 2011.*
- *Ālrewāīẗ Baīn Zamanīatehā Ūa Zamanehā, Maḥmūd Amīn Al-ʿālm: Mağalaẗ Fuṣūl, Mğ: 12, ʿ 1, 1993, P: 15- 16.*
- *Ālrewāīẗ Al-Tārīẖīaẗ, Ğūrğ Lūkātš: Tarğamaẗ: Ṣāleḥ Ğawād Kāẓem, 1978.*
- *Ālrewāīẗ Al-ʿarbīaẗ Ūaʿasʾīlaẗ Mā Baʿd Al-Isteʿmār, Idrīs Al-ẖaḍrāwy, 2012.*
- *Ālrewāīẗ Ūa Taʾawyl Al-Tārīẖ, Naẓrīaẗ Al-Rewāīẗ Wālrewāīẗ Al-ʿarbīaẗ, Faīṣal Darāğ, 2004.*
- *Ālrewāīẗ Wāltārīẖ, ʿīd ʿabd Al-Razāq, Muḥamad Ğamāl Bārūt, 1999.*
- *Šeʿrīaẗ Al-Faḍāʾ Al-Mutaẖīal Wālhuweyaẗ Fī Al-Rewāīẗ Al-ʿarbīaẗ, Ḥusaīn Nağmī, 2000.*
- *Ṣūraẗ Al-ʾanā Wālʾāẖar Fī Al-Sard, Muḥamad Al-Dāhī, 2013.*
- *Ālfetnaẗ Wālʾāẖar, Ansāq Al-Ġaīrīaẗ Fī Al-Sard Al-ʿarabī, Šaraf Al-Dīn Māğdūlīn, 2012.*
- *Qaḍāīā Al-Qeṣaẗ Al-ʿerāqīaẗ Al-Muʿāṣeraẗ, ʿabās ʿabd Ğāsem.*
- *Maʿrakaẗ Al-Zuqāq, Rašīd Būğadraẗ, 1986.*